"سجّال الأنا مع الآخر بين أحجية الإرهاب والعداء التاريخي"
("قراءة في الاعتراف الثاني من رو اية" اعتر افات أسكرام)

"The Self Struggle with the other between the riddle of terrorism and hhistorical enmity"

(A reading in "the second confession of "ascram's confessions" novel)

مجاهد بوسكين

Medjahed BOUCEKINE

جامعة معسكر ، medjahed.bouskine@univ-mascara.dz

الاستلام: 2020/05/19 **القبول: 2020/09/15** **النشر: 2020/06/30**

ملخص:

تتناول هذه الورقة الموسومة : "سجّال الأنا مع الآخر بين أحجية الإرهاب والعداء التاريخي) "قراءة في الاعتراف الثاني من رواية" اعترافات أسكرام ("لعز الدين ميهوبي إشكاليتين اثنتين، الأولى: تحمل عنوان "أحجية الإرهاب من وجهة نظر الآخر) "قراءة في العلاقة الديالكتيكية ما بين الأنا والآخر، (ترصد إشكالية الإرهاب في المنظور الرؤيوي للآخر أو بالأحرى في المتصور الذهني للآخر وكيف أنه يربط الإرهاب والتطرف بالإسلام والمسلمين، عبر قراءة متأنية لاعتراف "رفائييل رامون غابريرا "الذي يطالعنا برؤيا الإنسان الغربي إلى الأحداث الإرهابية، وبمعنى أدق رؤيا غربي عاش الأحداث عن قرب وكثب، كون التفجيرات وقعت في بلاده، وخطيبته التي كان يحبها حبا جما قضت فيها. والثانية: تحمل عنوان "الهوية في ظل ازدواجية الخطاب والتبعية للآخر "وتعرج على واقع النخب العربية بين أوطانها الأم وبلاد الآخر وعلى الأخص حيثية الاعتراف بهذه النخب بين الواقعين .

وبشكل عام لا تروم هذه الورقة استكناه التفاصيل الدقيقة للعلاقة بين الأنا والآخر، بقدر ما تتغيّا كشف ملابسات وعي" الآخر "ب ."الأنا"، وكيف تشكل هذا الوعي حتى أضحى رؤيا تستميت بحضورها في المشهد الفكري والأدبي، والثقافي بشكل عام، باعتبار أن رؤيا العالم تحيل على الشق الفكري لدى النّاص/الكاتب، الذي يسبق عملية التبلور النهائي للنتاج الأدبي،، والذي يمتح في الأساس من المجتمع والجماعة التي ينتمي إليها الكاتب أي هو إنتاج رؤيوي جماعي..

كلمات مفتاحية: الأنا والآخر، رؤيا العالم، الإرهاب، ازدواجية الخطاب.

Abstract:

The present paper entitled: The Self struggle with the Other between the riddle of terrorism and historical enmity, a reading in The Second Confession of "Ascram's Confessions" Novel by Ezz El-Din Mihoubi deals with two questions, the first entitled "the riddle of terrorism from the point of view of the Other" (reading in the dialectical relationship between the self and the other), examines the problem of terrorism in the vision of the other or rather in his perception and how he elates terrorism and extremism with to Islam and Muslims, through a careful reading of the confession of "Raphael

Ramon Gabrera" who presents the Western vision on terrorist events, more accurately the vision of a western man who witnessed the terrorist bombings closely, as they happened in his country, as well as his beloved fiancée was killed meanwhile.

The second question entitled "Identity in light of the duplicate discourse and dependence on the other" which highlights the reality of the Arab elites between their home countries and the countries of the other, and more specifically the recognition of these elites between the two realities.

In general, this paper does not intend only to explore the fine details of the relationship between the self and the other, but to reveal the conditions of the awareness of the "other" with "the self", and how this awareness was shaped until it becomes a vision of a consistent presence in the intellectual, literary, and cultural scene in general, considering that the vision of the world refers to the intellectual aspect of the writer, which precedes the final embodiment of the literary production, and which emerged essentially from the society and the community to which the writer belongs, thus, it is a collective visionary production.

Keywords: The Self and the Other, world vision, terrorism, duplication of Discourse .

المؤلف المرسل: مجاهد بوسكين، **الإيميل:** medjahed.bouskine@univ-mascara.dz

تمهيد:

ترى هل نقتفي أثار الحقائق والشواهد التاريخية لمعرفة طبيعة العلاقة بين" الأنا "و"الآخر"؟ أم أثار الصورة النمطية المصطنعة التي تسم المتصور الذهني للآخر عن الأنا؟ ونعني بذلك الصورة التي تستقر في ذهن الغرب عن الإنسان العربي، جاعلة هذا الأخير شعبا متوحشا وعدوا يجب التصدي له ومحاربته، وقد تعززت في العشرية الأخيرة بعد هجمات" الحادي عشر من سبتمبر"، عندما تم ربط الهوية الدينية للأنا جزافا بالإرهاب وراحت أقلام الغرب المسيّسة الموجّهة تكل أبشع التهم للإسلام والمسلمين، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر شهادة- شاهد من أهلها" -صامويل هنتنجتون "الذي اعترف في أكثر من موضع في كتابه "صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي" بأن الصراع المعاصر بين الحضارات هو صراع هوية وأديان في الأساس، وليس صراع إيديولوجيات ومصالح اقتصادية، مؤكدا أن الرؤيا الغربية الجديدة تصنف الإسلام والمسلمين في مراتب العداء الأولى للغرب، وبأنّها تقرن قضية الإرهاب بالإسلام (فيليب هنتنجتون، 1995: 339، 352) ولذلك الغرب يشنّ حملاته الشرسة ضد الإسلام والهوية الإسلامية؛ لأنها في تصوره تجسد هوية الإرهاب والعنف والتطرف والقتل .

ولقد عملت الأبواق الإعلامية الغربية دوراً كبيراً في تجييش وشحن مواقف" الآخر "عن" الأنا"، بجعلها الإنسان العربي مرادفاً للعنف والقسوة بكل أشكالهما وتمظهراتهما، والإسلام والمسلمين مرادفين للتطرف والإرهاب، وهذا" ناظم الجاسور "في مقدمة كتابه" الفكر السياسي الأمريكي المعاصر "يصف هذه الحالة في قوله" :حاولت المقولات الجديدة إعادة الروح للمقولات السابقة التي واجهت انتقادات حادة من قبل الأمريكيين والأوربيين وطرحت تصّورات عن حروب المسلمين وحروبهم الخفية التي انبرى يدافع عنها مفكرون وسياسيون من على صفحات الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار والدوريات التي حفلت بالكثير من الدراسات التي قدمت المبررات، ومختلف الحجج، التي تؤكد على حجة الصراع ما بين الغرب والإسلام(ناظم عبد الواحد ،200 : 09) ،فاتحة أبواب الحرب بينهما على مصرعيها .

وأمام الشحذ الإعلامي الغربي المتواصل عبر كل الوسائل، الثقيلة منها والخفيفة، المرئية والمسموعة من جهة، والخيبات والانكسارات المتواصلة في العالم العربي/الإسلامي من جهة ثانية، ويأتي في صدارتها واقع الإنسان العربي المقهور، الفاقد لمنهج المواجهة وكيفية التصرف مع الحيف والظلم المحيطين به من كل الجوانب، نتاج حصار وسطوة الأنظمة المتسّلطة التي تحكمه والتضييق الممارس عليه، الذي غرس فيه مع مرور الوقت كل أشكال الانعزال والعقد النفسية، انتهى الإنسان العربي

إلى فقدان الثقة بالنفس والهوية، والأسوأ من ذلك تكلّس لديه اعتقاد خطير ومدمر، وهو انحطاطه وقصوره، وريادة الآخر وسموه.

وبهذا الشكل تعقدت الأمور أكثر فأكثر، وأضحى الحلم الذي يراود" الأنا " ليس مواجهة "الآخر" عبر الندّية، من خلال التصدي لأفكاره الهدامة، وكبح توحشه المدمر وجهاً لوجه كما تقتضي الضرورة، بل السعي وراء تصحيح الصورة النمطية المنطبعة في الذهن والوعي الغربيين، وهو السعي الذي يقترن بالسراب في أجلى صورة له، لسبب وجيه مؤداه، أنّ تغيّر هذه الصورة في الوعي الجمعي الغربي لمفردها مع عامل الزمن، أو أنه سيكتشف زلاته وأخطائه، وبشكل خاص أنه ضحية مغالطات وصورة نمطية عملت جهات على ترسيخها في ذهنه ومخياله، ومن ثم يعمل على مراجعتها وتصحيحها من المستحيلات، طالما أن الإعلام الموجه بيد الآخر، والمبادرة بيده، وكل عناصر التعتيم والشيطنة بيده، وبالمقابل قدراته هو محدودة وإمكاناته منعدمة.

وإذن مواجهة "الأنا " ل "الآخر" ليست من السهولة بمكان، نظير الواقع المرير الذي يرزح في كنفه "الأنا" ويأتي في مقدمته التضيق والحصار المسلطين عليه .ولكن هذا لا يعني الاستكانة والانزواء، وإنّما أخذ الأمور بهدوء ورويّة، والتعامل مع هذه المسألة من طرف المثقفين، وبالدرجة الأولى رجال الأدب والإعلام بهدوء ووعي كبيرين، ذلك أن الضرورة تقتضي تسليط الضوء على الخلفية والمرجعية التي تسند هذه الصورة النمطية المشينة، التي تسيئ إلينا وتشوهنا، ويمكن إجمالها في أربع نقاط أساسية هي على علاقة جدلية وعضوية في الآن نفسه مع بعضها البعض، هي على التوالي :التاريخ والإنسان العربي، الرأي العام الغربي، الإعلام، الأدب والفنون، فهذه العناصر مجتمعة هي التي تشكل وتدعم الصورة النمطية إياها وتقف وراء صناعة الرأي العام الغربي، وشكل الصورة المشوهة للعربي في مخيال الإنسان الغربي.

وبشكل عام النرجسية الغربية، المحيلة على اعتقاد التفرد والريادة، لها جذور ضاربة في أعماق التاريخ، تطالعنا بها آداب وفنون الآخر، وتكفي التفاته صغيرة إلى الأدب الأمريكي الكلاسيكي، ليخرج القارئ بأسوأ انطباع عن الهنود الحمر، والأمر نفسه ينسحب على"شكسبير(William Shakespeare)" والأدب الإنجليزي في احتفاله بالبشرة البيضاء والعيون الزرقاء...إلخ .

وهي الأمور التي أخذت بعداً مدوياً في العشرية الأخير، وقد ساعدتها الكتابات العربية بطريقة أو أخرى عندما راحت تعالج مسألة الإرهاب، جاعلة الشخصية العربية تتقمص دور المعتدي/الإرهابي،

والشخصية الأوربية تتقمص دور الضحية، مزكية بطريقة أو أخرى الخطاب السائد عند" الآخر"، حيث دفعت الأنانية والنرجسية المثقف العربي بشكل عام، والأديب بشكل خاص، إمّا سعياً وراء الشهرة والمكاسب المادية، وإمّا بغية الظهور، بحثا عن ترويج بضاعته الأدبية وصناعة الاسم بالدرجة الأولى، أو حتى لمجرد التزلف المجاني .. يخاطب القارئ الغربي الأوربي أو الأمريكي بما يريد سماعه، وما يتفاعل معه من مسائل حول الدين الإسلامي والمرأة، وعنف العربي وفحولته .. وسوى ذلك.

ولكن بالمقابل هناك أعمال عملت على الرد على "الآخر" في مضمار الفن المتخيل، مشتغلة على تصحيح صورة "الأنا " في ذهن"الآخر"، وتعرية ما يجري في محيط الآخر، وبوجه خاص النبش في حيثية الرأي العام الغربي الموّجه، والفصل بين المقاومة والإرهاب، وتسليط الضوء على القهر الذّي يرزح تحته" الأنا"، ومعالجة قضية ازدواج الخطاب الغربي .. من قبيل ما تطالعنا به عوالم رواية" اعترافات أسكرام "لـ"عزالدين ميهوبي "في اعتراف" تورابورا"، وكذا اعتراف "الفجيعة على أستار الكعبة " لـ"رفائيل رامون غابربرا"، الذّي سنتوقف عنده بالتحليل في هذه الورقة.

-1جدلية "الأنا"،" الآخر"، الرؤيا (أنظر التعيق1) ، **والتاريخ :**

تعدّ تيمة" الأنا"،"الآخر" من المواضيع الإشكالية الجدلية والشائكة معاً، التي أسالت الحبر الكثير -قديما وحديثا- في الثقافة الإنسانية، كما تجاذبتها الأديان والفكر والفلسفة والأدب شعرا ونثرا، ومتون التاريخ والجغرافيا والسياسة .. الخ، ومردّ ذلك أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة وجود بالأساس، أو ضرورة من ضرورات الوجود، فطالما أن الذات مرتبطة بالعالم ولا يمكن أن تنفصل عنه، فإنّها لا يمكن أن تنفصل عن الآخر، والشعور الإنساني نفسه متصل بطريقة أو أخرى بعالم الغير لأن الناس أشكال وألون وأجناس، ولولا الاختلاف لما وقع التعارف والعكس بالعكس، لو أن ألسنة الناس تشابهت وألوانهم وأجناسهم تقاطعت لحدث اختلال في الكون .(كاضم، 2004 : 116)

إنّ العلاقة بين" الأنا" و" الآخر" علاقة دياكتيكية وعضوية في الآن نفسه، كما أن مسوغاتها ودوافعها لا تعد ولا تحصى، يأتي في صدارتها أن الفرد على علاقة بالمجتمع، والمجتمع على علاقة بالأمة والأخيرة على علاقة بالآخرين، ولهذا الذات الفردية لا تتحدد إلا في النطاق الأوسع، نطاق التعامل مع باقي الأفراد، أين يستطيع الإنسان أن يكتشف ذاته ويحددها، فهو في محيطه المجتمعي الأصغر "لا يكوّن هويته بمعزل عن الآخرين، وبمعزل عن الشروط المركبة التي تجمع الثقافي والديني والسياسي والاقتصادي وهلّم جرا" (أزراج، 2010)، وفي محيطه الكوني الأكبر تتضح معالمه أكثر فأكثر هوية وخصوصية، وذلك عندما يصبح وجها لوجه مع" الصورة الحقيقية التي يكونها عن نفسه، ومن هذا المنطلق فإنّ مفهوم الآخر

يلعب دورًا حيوياً في تكوين الهوية" (مسلم، م،2004 ، ص08)، ومعرفة الذات وقدراتها ومكانتها من العالم برمته، فالغير بتقدير"سارتر" هم الأساس الأهم فينا وبموجبهم نتعرف على ذواتنا، ولولاهم ما كنّا على ما نحن عليه .وبالمختصر المفيد فإنّ العلاقة بين" الأنا " و"الآخر" علاقة شرطية، الأنا يقتضي وجود الآخر، والعكس الآخر يستوجب وجود أنا إزاءه، فضلا عن أن الذات الفردية" تتطور كنتيجة لعلاقة هذا الفرد بالعمليات والنشاطات والخبرات الاجتماعية من جهة، وبالأفراد الآخرين من جهة أخرى (لبيب،1996: 114).

وهي الصورة/العلاقة التي التأمت أكثر فأكثر في العصر الحديث وأخذت بعدا آخر، بعد أن تبلورت المثاقفة بوضوح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقد بدأت الهوية تظهر مصطلحا إجرائيا في التداول السياسي والديني والايديولوجي والثقافي، أي بعض العرب يقرؤون لها تعبيرات عدة مثل الهوية العربية، الهوية الاسلامية، الهوية القومية .. وصولا إلى هوية النظام الدولي الجديد، وفي هذا الخضم بات أمر الهوية أمرا حيويا وفعالا في الثقافات والحضارات خصوصا في مراحل الصراع والتصادم والتواحد والاندماج"(رسول م ر،2002: 25 ،26)، إذ أصبح هو التارمومتر الذي يقيس درجة حرارة" الأنا "ويذكي شعوره بالريبة والقلق من" الآخر"، أو يجلي له تمظهرات وحدود الهوية والاختلاف معه، أو يشعره بالطمأنينة والارتياح إزاءه .

ولكن إذا كان هذا فيما يتعلق بطبيعة العلاقة في حيّزها النظري، فإنّها في حيّزها الواقعي وبالارتداد إلى التاريخ نجد أنّ العلاقة بين "الأنا" و "الاخر" لم تبارح الشدّ والجذب، والمدّ والجزر إطلاقا، فما تطالعنا به صفحات الذاكرة أنّ الاختلاف والتباعد بين وجهتي نظر الشرق والغرب قديمين، بل ضاربين في أعماق التاريخ، فقد اعترى التباين معظم المسائل بينهما، إن لم نقل جلّها، وتمأسس ذلك وفق وعي تشكل عبر مراحل التواصل المتشنجة بينهما، كما تأثر بالسياق التاريخي والسوسيو ثقافي، الذي رسم في الغالب صورة سلبية عن طبيعة العلاقة، وفي أقل الحالات متزنة، وفي نادرها إيجابية، يمكن تحديدها- بالتعبير الساسي الأدبي- في أربع أنواع من العلاقات:

-1علاقة اصطدام وعداء

-2علاقة مصالح جيو استراتيجية اقتصادية

-3علاقة حوار حضاري وتسامح

-4علاقة تثاقف بين الايجابية والسلبية

وفي خضم هذه العلاقات راحت تتلون وتتغير رؤيا" الأنا "من" الآخر "والعكس، لأن هذه الرؤيا كمفهوم هي" عبارة عن تركيب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو مجموعة ما الى الآخرين" (لبيب : 813).

وتأخذ طبيعة العلاقة التي تسم مواقف" الآخر "من" الأنا" عند د"انيال هنري باجو" ثلاثة أنماط رئيسية:

1-الميل والهوس : (la manie) وتعني شعور الأنا بالضعف حيال الآخر .

-2الخوف (la phobie): توجس الآخر من تفوق الأنا وسيطرته.

- 3الحب (la phibie): التعايش بين الأنا والاخر .(Tap, Pierre, p, 1986, p, 237).

وفي جميع الحالات كانت تخضع علاقة" الأنا "ب "الآخر" لإرهاصات المثاقفة والتثاقف، فترات تقاطع الحضارات والثقافات وتلاقي الشعوب، سواء عبر التجارة أو الاستعمار أو الهجرة أو الحوار المباشر، كما ظلت في الغالب الأعم مرهونة بصيرورة التاريخ، ولهذا لم تكن ثابتة في سائر الأوقات، إلاّ في أزمنة بعينها، والسمة التي طبعت التصادم والتقاطع الحضاريين أن "الصورة الصادمة بين الطرفين كانت من نصيب أرباب السيوف، أمّا أرباب الأقلام فقد كان بينهم نوع من التفاعل المتبادل(عبده قاسم، ق، 2007) وبهذا الشكل ظلت تتمظهر علاقة الأنا بالآخر في صورتين اثنتين لا ثالث لها، هما الاصطدام أحيانا والحوار أحيانا أخرى، الشأن الذي جعل بصيص الأمل في التلاقي والانفتاح على بعضهما البعض يبقى قائما، ذلك أن" الآخر "وإن كان لا يلاقي كل القبول من طرف "الأنا" نظير المسائل الخلافية الموجودة بينهما، المتمثلة أساسا في الهوية والصدام التاريخي والدين والايديولوجيا، فإنّه أيضا لا يلاقي الرفض والقطيعة الدائمة، وبالمعنى الأوضح إنّ الاختلال القائم بين العالم العربي/الإسلامي والغرب، أساسه سياسي عقائدي بالدرجة الأولى،" بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية، أمّا علاقة) الأنا بالآخر (من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها"(حمود، م، 2013، : 17)نظرا لحاجة هذا لذاك.

ولعلّ الإشكال الذي يقوض مساعي الانفتاح، هو التصور الذهني الراسخ في ذاكرة "الأنا " ونخص بالذكر" ما استقر في الأذهان والخطابات السائدة في المجال التداولي العربي منذ بدايات القرن الماضي إلى اليوم، بخصوص هذا الآخر الحضاري الذي يمثل الحداثة والتقدم والتقنية، مثلما يجسد القوة والغلبة والسيطرة، إذ يحاول فرض لغاته وأفكاره وقيمه ومصالحه على الذات العربية الاسلامية وعلى غيرها من الذوات الحضارية" (الزهراني،1999 : 55)، وهذه الصورة الذهنية المنطبعة في وعي "الأنا" لها

امتدادات دينية وتاريخية وجغرافية، كرست مع تواتر الزمن صورة نمطية، تصنف "الأنا" مثال للوطنية والمقاومة، والآخر رمز للعداء والاحتلال والسطوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، ولها مبرراتها في ذلك، لأنّها لم تعرف عن هذا الآخر غير الخراب والدمار والفظائع الإنسانية، بما تحمل الكلمات من معاني، بدءًا من نكران ما قدمته الحضارة العربية الاسلامية للآخر، فمرورا بإبادة أهل الاندلس والحروب الصليبية، فانتهاء إلى الاستعمار في شكليه الحديث والمعاصر، ناهيك عن أشكال الاستغلال ونهب خيرات الأنا .. وما إلى ذلك .

وهذه الحقائق هي التي جعلت "الأنا" لا يثق في "الآخر"، يساوره الشك الدائم حياله، يحتاط من الانفتاح عليه، ويتوخى قدر المستطاع خطره المحدق به، الذي يتهدد هويته وكيانه، إنّه يتطلع إليه من زاوية علاقة الغالب بالمغلوب والعدّو الذي يخشى شرّه، ومنطق القوة والضعف الذي ينتج العداء والرفض، ويبقي على العلاقة متشنجة بين الطرفين أمدًا بعيدًا، وعلى فكرة حوار الحضارات بعيدة المنال، فمادام" الآخر" لا يرى في "الأنا" إلاّ مرتع للاستهلاك ويسمه بالتخلف والانحطاط والقصور، وينظر إليه نظرة دونية، يستحيل أن يحدث الانصهار والتماهي بين الجانبين، ولنا أن نتأمل خطاب" الآخر "لنقف على مقدار العنجهية وحجم البون بين العالمين، فهذا "جياني ديميكليكس" -على سبيل التمثيل لا الحصر - يزكي خطاب التعالي والاحتواء، داعيا إلى تعميم المشروع الأوربي إذ يقول: " ينبغي أن تحل أروبا مشاكلها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم، وإذا ما فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي، فإنّ العالم سيصبح مكانا في منتهى الخطورة" (هويدي، 1990) .وبالعودة إلى رؤيا" المركزية الأوربية "التي تجعل من عالم الشمال الأوربي سيّد وعالم الشرق العربي مسود، وتسوق لفكرة الصراع الدائم معه، ولعبقرية الغرب وقصور الشرق، يتبدى جليا أنّ" الآخر "متمركز حول ذاته ولا يرى إلا نفسه في المرآة، الصورة التجريدية المعبّر عنها بـ"حب التجاوز/ظاهرة التفرد والعبقرية" (بشير بويجرة، د.ط)، التي أعاد في مضمارها الآخر صياغة أساليبه النازية الهمجية البائدة،" حيث صار الغرب الحضاري على درب الغرب اللاهوتي في ثقافة النفي والإنكار والاستئصال، فنزعة المركزية الحضارية الغربية، التي صورت للغرب أنه بداية الحضارة) مستدلا بـ بالإغريق والرومان، وأنه أيضا آخر ما انتهت إليه الحضارة، (هذه النزعة الغربية قد جعلت الثقافة الغربية تنكر تنوع العالم إلى حضارات متعددة ومتمايزة ومستقلة في ثقافتها" (عمارة: 35)، وجسدت ذلك على أرض الواقع في احتلالها لشعوب العالم،

عاملة على طمس هوياتهم وإلغاء حضاراتهم من خلال تشيد كيانات استعمارية تشتغل على إلغاء وجود "الأنا"، وتؤسس لثقافة وهوية" الآخر "عبر الفرض والإجبار .

ولهذا السبب تعرف العلاقة بين" الأنا "و"الآخر "فتورا كبيرا، والهوة بينهما ما فتئت تتعمق وتتعاظم، فاسحة المجال أمام سجّال لا ينتهي واصطدامات بالجملة، ممّا يعني أن أفاق التلاقي في المستقبل القريب محدودة، وأمال الانفتاح تكاد تكون منعدمة، ومن ثم فالسبيل الوحيد لتقريب وجهات النظر بينهما ولجم السّجال، هو تحلي الطرفين بإرادة قوية تلزمهما ببعث نقاش جاد ينهض على مبدأ الاحترام المتبادل بين الجانبين، ويدين كل أشكال التطرف والهيمنة والتسلط، ولكي يتسنى ذلك ينبغي أن ينزل" الآخر" من برجه العاجي، ويتخلى عن فكرة الاستعمار الجديد تحت مسمى "النزعة الإنسانية"، التي تقرّ بها نخبة "الآخر" نفسها الداعية إلى حوار الحضارات، مثل "نعوم تشو مسكي" الذي اعترف في كتابه "النزعة الإنسانية العسكرية الجديدة"، بأنّ الحرب المدمرة التي قادتها أمريكا وحلفاؤها في الشرق الأوسط، لا صلة لها بالنزعة الإنسانية بتاتا، وإنّما دواعيها الأساسية هي النزعة الانتقامية لإجبار الشرق على قول" يا عم سام" (تشومسكي،2001 : 13)، والخضوع القصري لنظام العولمة الجديد.

2-أحجية الإرهاب والسّجال بين الأنا والآخر في رو اية "اعتر افات أسكرام" :

من عوالم السجن والنضال من أجل الحرية التي سيّجت الاعتراف الأول، ينتقل الناص"ميهوبي" في الاعتراف الثاني إلى إثارة قضية أخرى، لا تقل أهمية عن سابقتها، أسالت ولا تزال تسيل الكثير من الحبر، هي قضية الإرهاب من وجهة نظر الآخر، يثيرها من خلال قصة دونكيشوتية تروي مذكرات فنان تشكيلي إسباني يدعى "رفائيل رامون غابريرا"، قضت خطيبته "كلارا " في تفجيرات"(أطوشا) مدريد"، التي تزامنت مع تاريخ الحادي عشر من مارس العام(2004) ، فيقرر تفجير الكعبة الشريفة على طريقة "أبرهة الحبشي "انتقاما لحبيبته من المسلمين، ومع هذا القرار يبدأ العد التنازلي للقصة، حيث يجد "رفائيل "ضالته في فاطمة المغربية" الحراقة"، التي بعد أن يتعرف عليها لفترة وجيزة يرتبط بها، محاولا عبرها بلوغ هدفه الانتقامي، ويقتضي منه ذلك الانتظار والتكتم لأكثر من ثلاثين سنة، ولكن يوم يتأهب لتنفيذ مخططه يتراجع بسبب "رؤيا "مروعة/حلم، تجعله يراجع نفسه ويعود إلى رشده، حيث يرى فيما يرى النائم أن" أبرهة "ينهره، وحمامة بيضاء تقف عند الكعبة .

"كانت الرؤيا التي حملتني على نعش إلى مكة هي اللحظة التي استعدت فيها رفائيل التائه في عوالم الثأر، شكرا شكرا لك يا أبرهة لأنك انهزمت، فتعلمت منك أن الفيلة لن تدوس على الحق، وأن الطيور لا تبتغي الظلم"(ميهوبي،2008 : 242) .

هكذا يتراجع" رفائيل "عن فكرة الانتقام، وأكثر من ذلك يحاول التكفير عن ذنبه، وعند هذه النقطة يتوقف الاعتراف الذي أطرف ما فيه ما تقوم به فاطمة في آخر المطاف .." وما إن توقف التصفيق حتى وقفت فاطمة وصعدت إلى المنصة أمام دهشة الحضور، ونظرت مليا في وجه رفائيل ثم صفعته بيدها، وارتمت في أحضانه بينما كان يضحك لأنه انتصر على الإثم والصمت والحب).. (ميهوبي، 2008: 442).

وبشكل عام إذا كان الموضوع الرئيس الذي يعالجه الاعتراف هو مسألة الإرهاب والانتقام من المسلمين، فإن رؤيا العالم (vision du monde) لا تبقى حبيسة ذلك، بل تعرج على موضوع آخر هو قضية الهجرة غير الشرعية، ولذلك . وحتى نستوفي الاعتراف حقه . ينبغي التوقف بالدراسة عند كل موضوع على حدة، بالرغم من أن هناك نقاط تماس وتقاطع ما بين الموضوعين.

أولا :الانتقام من المسلمين تحت أحجية الإرهاب :

الحري بالذكر بدءا، أن هناك روايات عربية كثيرة تناولت علاقة "الأنا "ب "الآخر" في خضم مسألة "الإرهاب الدولي" والتفجيرات الإرهابية، وخاضت في أبعاد هذه الظاهرة القديمة الجديدة، وعلى الأخص منذ الحدث العالمي المدوي، هجمات الحادي عشر من سبتمبر(2001) ، ولا غرابة في ذلك مادام أنّ الرواية هي "أكثر اشكال الفن الأدبي تصويرا للمراحل التاريخية الإنسانية وللتطورات الأخلاقية والفكرية)"(شلتاغ،89)، كونها- مقارنة بباقي الأجناس الأدبية -تتمتع بهامش من الحرية والمرونة يتيح لها استيعاب الماضي وقراءة الراهن واستشراف المستقبل، كما أن ارتباطها الوثيق بالواقع يجعلها لا تبارح المرجعي الحي والتاريخ، وإن كانت لا تنقلهما حرفيا وإنّما تمتح منهما في مضمار عوالمها الافتراضية التخيلية، باعتبار أن الصنيع الأدبي هو" المكان الذي يحلّ فيه الخيال الأدبي جملة التناقضات الاجتماعية المادية التي تجد لها حلا في الإيديولوجية العامة)"(دراج ،1992: 131) .ولكن أغلب تلك الروايات تباحثت المسألة من وجهة نظر الشخصية/الفرد العربية، التي تعرفت على الظاهرة إمّا عن كثب مثلما هو الشأن للجزائري، وإمّا عبر وسائل الاتصال المختلفة المباشرة وغير المباشرة كما هو الشأن لباقي البلدان العربية، ممّا جعلها تعبر عن رؤيا العرب/المسلمين لهذه الأحداث، بينما "اعترافات أسكرام "في مذكرات" رفائيل رامون غابريرا"، الموسومة" الفجيعة على أستار الكعبة"، نلفاها تعكس الآية لتنقل لنا رؤيا الإنسان الغربي إلى الأحداث الإرهابية، وبمعنى أدق رؤيا فرد غربي عايش الأحداث عن قرب وكثب، يروي تفاصيل الأثر الذي تركته فيه التفجيرات التي هزت بلاده، وجعلته يفقد خطيبته التي كان يحبها حبا جما .

وبهذا الشكل تموضعنا الرواية من ناحية أمام رؤيا للعالم تتبناها شخصية غربية، ومن ناحية ثانية أمام مروي يطالعنا بالحدث عن قرب، باعتبار الشخصية قد واكبت الحدث في محيطه وبتفاصيله، ومن ثم يفترض فيها أن تعبر بكل وضوح ومن أعماق جوارحها عن رؤياها للإرهاب الأنا الآخر بالنسبة إليها - العربي/المسلم، المتهم بالضلوع فيها، وبالتالي فرؤيا العالم التي يسيّجها ميهوبي في هذا النطاق، تتغيّا وضع القارئ في معين نظرة "الآخر" إلى" الأنا" العربي/المسلم بخصوص قضية الإرهاب أو بالأحرى، كيف ينظر الآخر إلى المسلم في ظل حدث العصر"الإرهاب "؟؟؟ !!! ذلك أنّه مهما كانت المسافة بين الشخصية والكاتب وبين الراوي والكاتب تظل الرؤيا رؤيا الأخير بالدرجة الأولى، أي أنّ السارد وإن كان غربيا وبالضبط أوروبيا، إسباني الجنسية والمنبت، فإنّه لا يعدو أن يكون مجرد أداة في يد الكاتب يتحكم فيها كيفما يشاء ويفعل بها ما يشاء، ومن ثم فالمحكي أولا وقبل كل شيء هو محكي المبدع والرؤيا هي رؤياه، أراد في ضوئهما مستعينا بسارد ينتمي إلى الضفة الأخرى أن يقدر رؤيا الغرب لنا ويستبطن الأسس التي يعتمدها كمعايير في ذلك.

ومن هنا تصبح الرؤيا ككل في أبعادها وجزئياتها الدقيقة، محاولة للنفاذ إلى الجانب الآخر لإنتاج صورة طوباوية عن ذاته، تطالعنا بأفكاره وعواطفه وكذا مواقفه بشأننا، في مضمار أحجية الإرهاب التي أضحت مرتبطة بنا ارتباط الظمأ بالسراب، نتاج تبني تنظيم القاعدة للكثير من الأعمال والتفجيرات الإرهابية، مثلما هو الحال لتفجيرات أطوشا الإسبانية) مدريد(، مثار محكي السارد في هذا الاعتراف .

من بداية الاعتراف يطالعنا الملفوظ السردي بالرؤيا السوداوية التي يحملها السارد المشارك/رفائيل عن الإسلام والمسلمين وكل ما يرمز إليهما، حيث يعلن من الصفحة الافتتاحية عن مقدار الحقد الذي كان يعتمل بداخله تجاه" الأنا "المسلم، محمّلا إياه مسؤولية تفجيرات أطوشا وكل الحوادث الإرهابية في العالم.

.." لم أكن محاربا يقود وراءه آلاف الفرسان ليدمر القلاع ويدك الحصون، ويترك في كل معركة آلاف القتلى وكثيرا من الخراب، ولكنني كنت وحدي أحمل أثقالا من الحقد الذي ظل يعتمل بداخلي حتى اللحظة التي تقيأت فيها ذلك الشعور بكراهية العرب والمسلمين".. (ميهوبي،2008: 359-360).

وأغرب ما في الأمر فيما يعترف به الفنان التشكيلي، والذي يعبر عن رؤيا الإنسان الغربي إلى العالم الإسلامي أو على الأقل شريحة واسعة منه، أنه يبوح بحقيقتين على درجة كبيرة من الخطورة، الأولى :أنه يستصدر الأحكام عبثا عن المسلمين وبصفة استباقية، بل وبتعميم مفرط دون أن يستفسر عن الأمر أو يكلف نفسه عناء البحث عن ملابساته وخلفياته والجهة التي تقف وراءه، فما يبادرنا به المروي أن رفائيل منذ اللحظة التي قتلت فيها حبيبته يتهم المسلمين ويفكر في الانتقام منهم، أي أنه إنساق

وراء عواطفه وقلبه، فآثر الحقد والثأر على إعمال العقل والتحلي بالرزانة، اعتقادا منه أن تبني القاعدة للعمل الإجرامي يعني كل الأمة الإسلامية، وهكذا تسلل إلى قلبه هاجس الانتقام، ووجد أنه لا يستوفيه إلا تدمير الكعبة الشريفة على رؤوس المسلمين.

.." أنا لم أبدأ الحرب على هؤلاء الذين خرجوا من كهوف أفغانستان وأزقة الدار البيضاء وجبال الجزائر، هم من وضع المتفجرات في محطات أطوشا وآل بوزو سانتا أوجينا، سأعيش للون واحد هو الأحمر القاني، ولن يمسح أحزاني سوى سيل من الدم على أستار الكعبة .. سأنتقم".. (ميهوبي،2008: 392).

والشاهد يفصح بشكل واضح على الفكرة التي يؤججها المبدع، ألا وهي حقيقة الأحكام المسبقة التي يقيمها الآخر عنا، فعندما يضع رفائيل الجميع في سلة واحدة، ويأتي على ذكر) أفغانستان والمغرب والجزائر(، هذا لا يعني أن الأثر الذي تركه فيه الحادث، والإحباط الذي عشش بداخله جراء مقتل عشيقته هو الذي دفعه إلى قوله السابق، بل يعني أنه مشحون وممتلئ حد الثمالة بالأفكار المسبقة عن المسلمين والعالم الإسلامي بما جعله لا يتدارس المسألة بروية، ولا يحاول اكتشاف الحقيقة بموضوعية وحيادية، بل على العكس من ذلك تماما استكان للنظرة السلبية وتركها تكتسحه وتسيطر عليه، وسارع إلى اتهام الجميع زورا وبهتانا، وراح يستصدر الأحكام مباشرة على ما وقف عليه بلا أدنى تفكير مسبق.

وطبعا تفكيره هذا لا يبدو تفكيرا معزولا أو يتعلق بشخصه فقط، بل ينسحب على الإنسان الغربي ككل، ولنكون منصفين- نقول -ينسحب على شريحة المتطرفين أو من هم على شاكلة رفائيل، ودليل ذلك ما تشي به الحقيقة الثانية التي تأتي مكملة للحقيقة الأولى في جانب الرؤيا السوداوية القاتمة عن العالم الإسلامي، أين يبادرنا السرد برفائيل ينكأ جراح المسلمين ويؤلب مواجعهم ويخدش ذاكرتهم الجريحة ممارسا الاستفزاز، متشفيا وحاقدا، وهو يستعيد في حضرتهم تفاصيل الذاكرة الجريحة والماضي المؤلم الذي عاشه أجدادهم في بلاد الأندلس عندما استباحه الفرنجة والأوروبيون بكل تجلياته الخطيرة، التي مع أنها تحمل في طياتها الخزي والعار بالنسبة للآخر، هي بمنظور رفائيل تجسد فصول الانتقام من المسلمين وتذكرهم بانهزامهم وبتعداد خيباتهم وإحباطاتهم التاريخية المتلاحقة منذ سقوط الأندلس، مثلما هو الشأن عندما يسترجع بكل غلظة وتبجح مأساة أهل الأندلس مع مدونة "ألفونسو مانريك"، المفتش العام لمحاكم التفتيش وأسقف إشبيلية، أو وهو يورد هذه البنود كاملة، تلك البنود التي وضعت خصيصا لإبادة المسلمين ومحو الديانة الإسلامية من المنطقة.

.. "وهي التهم التي تطير لها رؤوس من يخفون إسلامهم، أولئك الذين يسمون الموريسكيين أو الغرباء .. إذا قالوا أن الدين المحمدي هو الأحسن، وأنه لا يوجد غيره للوصول إلى الجنة، وأن المسيح كان نبيا وليس إلها .. إذا صاموا رمضان وراعوا ذلك أثناء عيد الفصح وسلموا بعض الصدقات .. إذا قاموا بالصلاة وحولوا وجهتهم إلى الشرق، وتم ذلك فوق حصير أو قطعة قماش)".. (ميهوبي،2008: 360).

والموقف نفسه يتراءى عليه السارد مع حادثة سقوط غرناطة، حيث يوردها وهو مفعم بالحيوية والنشاط، كله انتشاء، يتّقد حقدا على العرب والمسلمين.

.. "هل تذكرين يا فاطمة يوم ذهبنا إلى غرناطة؟ كان اليوم الثاني من يناير2014 ، أنت لا تعرفين دلالة هذا اليوم، ففيه انطفأ حلمكم وانهار حكمكم وتلاشى ملككم، أنتم العرب المسلمون، هل تعرفين أن حصار غرناطة جعل بني الأحمر يأكلون خيلهم وكلابهم وقططهم، ولم تنفعهم قصورهم المنمقة بالألماس ولا سيوفهم المطلية بالذهب .. كنت سعيدة في ذلك اليوم لأنك زرت قصر الحمراء، وكنت أسعد لأنني كنت أرى أبا عبد الله الصغير وهو يخرج باكيا ولا منجاة له إلا الموت بعيدا في فاس .. كان عليك أن تزوري قبره لا قصره .ولم تعرفي في تلك الساعة قدر سعادتي كنت كملاك مجنح)".. (ميهوبي، 2008: 320).

وهذه المواقف وسواها التي إمّا يبدي فيها السارد/المشارك سعادته وانتشاءه بما لحق المسلمين على مرّ التاريخ، وإمّا حقده وكراهيته لهم ولما صنعوه من إنجازات،- ولا يسعنا مجال الورقة البحثية لتعدادها - كلها تصب في خندق العدائية للعالم الإسلامي وتعجّ بالصفات السلبية عنه، وأدهى وأبشع ما فيها أنّها ترد في شكل أحكام مسبقة، توارثها رفائيل وأبناء جلدته أبا عن جد، وما أحجية الإرهاب الملحقة بالمسلمين جزافا، إلا الشماعة التي يغطون بها على مواقفهم المتوارثة أصلا عن" الأنا "المسلم، التي يتصورون فيها هذا" الأنا) "الجمعي (مجتمعا متزمتا منغلقا على نفسه رافضا للآخر، تستشري فيه العنصرية والتمييز والرفض، ويسحبون من تحت أقدامه كل صنيع أجداده وأسلافه ويلحقونها بأنفسهم، أو يتبنونها مع أن معالمها لازالت شاهدة على مجد وحضارة المسلمين ولا ينكرها إلا جاحد حاقد.

.. "الآثار التي تشهد على عظمة حكم العرب .. ويضيف ليس هناك من أقام سبعة قرون من الحضارة .. الأندلس أعجوبة في التاريخ)".. (ميهوبي،2008: 404).

.."لو صدقتك لقلت أن العالم اكتشفه البربر وشيده العرب .. ويأتي مؤرخوكم اليوم ليقولوا بل عرب الأندلس هم من قادوا" كولومبس "إلى العالم الجديد، وقبل هذا قلتم إنّ فاسكو دي غاما، ما كان ليكتشف طريق الهند لولا أحمد بن ماجة)".. (ميهوبي،2008: 420).

بهذا المنطق الرؤيوي- في الرواية -يتمثل الآخر/الغربي الأنا/المسلم، فلقد شكل الدين الإسلامي الذي لا يتوقف عن الانتشار، والحقد الذي توارثه الآخر عن المسلمين تاريخيا هاجس عداء بالنسبة له، تحول مع مرور الوقت إلى آلية للرفض والطرد في الثقافة الغربية، تعززت واتسعت رقعتها بانتشار موجة الإرهاب واكتسابه للصبغة العالمية، باعتباره وفر المناخ والأجواء المناسبين، وكذا المبرر والمسوغ للجهر بالعداء، وإلصاق التهم بمختلف أشكالها وتعدد ألوانها بالأنا/المسلم جزافا.

ويحيل هذا في جملة ما يحيل عليه أنّ الإشكال الرؤيوي الذي يطرحه الكاتب مؤداه، أن عداء الآخر للأنا قديم جدا وله جذور وامتدادات موغلة في أعماق التاريخ، تمتد من عام الفيل عهد أبرهة الأشرم، مرورا بإسقاط آخر قلعة للمسلمين هي غرناطة، فمدونة "ألفونسو مانريك"، إلى أحجية الإرهاب التي أوجدها الآخر وقام برعايتها ليرمينا بها، مستخدما مختلف الأوصاف من قبيل الإرهابيين والقتلة وما شبه ذلك، ليمهد الطريق لاحتلال وانتداب جديدين لهذا "الأنا" أو وصاية أو ما شبه ذلك .ومن ثم فتهمة الإرهاب ما هي إلا أحجية العصر، والشجرة التي تخفي وراءها الغابة، تمكنت من خلالها الأنظمة الغربية عبر مخابرها الاستراتيجية ومخبريها من تجديد موروثي الحقد والكراهة في نفس الإنسان الغربي، ووخز مناطق العنصرية بداخله، وتأليب مشاعره تجاه العالم الإسلامي، أو بالتعبير السياسي توجيه وتحوير أنظاره تسعون درجة نحو الغول القادم من الشرق الذي يتهدده .ولأن هذا الأمر تم الإعداد له مسبقا وهو متوارث- كما سبق الإشارة إليه -انتشر بسرعة البرق، خاصة بعد أن مهدت له الطريق الإمكانات الضخمة التي يحوز عليها الغرب، من إعلام ثقيل ووسائل دعاية مغرضة، جعلت الحيلة تنطلي بسهولة على الإنسان الغربي، فراح تحت طائل التوجيه المبرمج المغرض، يتمثل الإنسان العربي المسلم صورا مشوهة، أقامها على كاهل الدين والعرق، وسلوكات" العنف والإرهاب "اللذين يتلقى مشاهدهما من وسائل التوجيه إياها، وشيئا فشيئا صار الانسان الغربي يتداول أخبارا مشوهة عن الأنا، أي تميّز هذا) الأنا (مثل) العنف، الإرهاب، القتلة (.. وغيرها من الأوصاف والألقاب العنصرية .

وهكذا أمسى هذا التمثل في عدائيته وعنصريته، يسيطر على مخيال المجتمع الغربي أو يجسد المتخيل الذي يسم المجتمع الغربي، والمتخيل بتقدير" بول ريكور "هو رديف الفكر الإيديولوجي .. باعتبار الإيديولوجيا نظاما من الأفكار والتمثلات الجماعية التي تحمل الوهم والزيف، والإشارة إلى الواقع ذاته، (كاضم، 2004: 20) هو أيضا- أي المتخيل- "نسق مترابط من الصور والدلالات والأفكار والأحكام المسبقة التي تشكلها كل فئة أو جماعة أو ثقافة عن نفسها وعن الآخرين" .(كاضم،2004:.70-20).

وبناء عليه يغتدي ما اعترف به رفائيل على امتداد فقرات وصفحات المذكرات، ونخص بالذكر المغامرات الدونكيشوتية التي قام بها بدقة متناهية على طريقة عملاء المخابرات المحترفين، بدءا من تعلمه اللغة العربية وادعائه الإسلام ليتمكن من الاندساس وسط المسلمين، فمرورا باستدراجه فاطمة المغربية)الحراقة (إلى مشروعه وتكتمه عليه لأكثر من ثلاثين سنة، فانتهاء إلى طريقة الحوارات والمناقشات التي يخوضها والتي تنم عن أحكام مسبقة هو محقون بها، كل هذا يغتدي محض أنموذج مصغر لتوجه إيديولوجي واعتقاد يسودان في أوساط عالم الآخر، يعبران في ماهيتهما عن فكر متطرف تتبناه جماعات متطرفة تكن العداء للعالم الإسلامي، تسعى بكل الوسائل إلى نشره في أرجاء بلادها عبر ممارسة التضليل والكذب على مواطنيها، وذلك بتقديم المسلمين في أشكال مشوهة، تصورهم إرهابيين، دعاة تطرف وعنف، متخلفين، يبغضون الآخر، وتنعتهم بمختلف الأوصاف، القتلة، المرعبين، وبصفة إجمالية الغول القادم من الشرق.

إنّ رؤيا العالم في الاعتراف ككل، ولئن كانت تعتمد على مروي يقترب من كل شيء إلى السيرة الذاتية والمذكرات اليومية، فإنّها أيضا رؤيا سجالية تجابه أسئلة الذاتين) الأنا والآخر (بمكوناتهما الفلسفية والعلائقية والمعتقداتية في تجاذباتها وامتداداتها، بمنطق الحوار والعقل ومنطق المرجعي، والموجود في الراهن الآني الذي يعرفه العام والخاص، وتلامس فكرة العنصرية والتطرف والأحكام المسبقة التي توقع الذات في الغالب في أخطاء جسيمة تودي بها إلى سلوكات مشينة تؤذي صورة الثقافة والإنسان معا، لأنّها من حيث الجوهر سقطات فكر وتفكير، تكون نتاج الانغلاق والتعصب الجاهل لـ" الفكرة" و"الأنا"، الذي غالبا ما ينتهي إلى حقن الذات بهواجس رهيبة وصور مشوشة، تجعلها تنساق وراء التطرف والحماقات الخطيرة غير القابلين للغفران والتدارك، كونهما ينطلقان من مشروع فتنة قد يفضي إلى خراب العالم ودماره.

ووعيا من الكاتب بهذا، انتشل بطله من ارتكاب الحماقة والجرم، وجعله يعود إلى رشده وجادة الصواب في آخر المطاف، بأن أحالنا على توبته وتكفيره عن ذنبه بالاعتراف من ناحية، وبأن جعل فاطمة زوجه تصفعه ثم ترتمي في أحضانه، مسوقا لفكرة التوبة التي يليها الصفح، وأطروحة التسامح الحضاري التي تنشد بعث التسامح والتعايش بين الشعوب والحضارات.

ثانيا :الهجرة والهوية في ظل ازدواجية الخطاب والتبعية للآخر:

الرؤيا الثانية التي يحتفل بها الاعتراف ونجدها على صلة من قريب أو بعيد بالرؤيا الأولى، ولا يمكن إدراجها في خانة المرتبة الثانوية لكونها تأخذ حيزا معتبرا في مذكرات رفائيل، هي رؤيا تهجس بإشكال

الهجرة غير الشرعية من ناحية، وإشكال الأدمغة العربية المتواجدة على الضفة الأخرى من ناحية ثانية .

ففي الإشكال الأول يقودنا الكاتب إلى حقيقة محنة الهجرة السرية، التي اتسعت رقعتها بشكل لافت وخطير جدا في غضون العشرية الأخيرة وتعرفها الجزائر أيّما معرفة، الهجرة التي تتم عبر امتطاء قوارب الموت من طرف المهاجرين العرب والأفارقة يوميا وبوتيرة مستمرة من نقاط انطلاق مختلفة في المغرب العربي، تأتي في صدارتها الجزائر والمغرب، يسعى ممتطوها إلى بلوغ الضفة الثانية من البحر المتوسط، إمّا بحثا عن الملاذ الآمن وهامش من الحرية في أوروبا بعيدا عن أساليب التضييق والدكتاتورية، وسياسة الأمر الواقع والإجبار، وإمّا هروبا من البطالة وشظف العيش والبيروقراطية واللاعدالة، أو بتوصيف عام هربا من أقدارهم المحتومة التي جنتها عليهم أنظمتهم- الحاكمة -المعتوهة، والأعراف المجتمعية البائدة، كما هو الشأن لـ" فاطمة المغربية "التي اضطرت تحت طائل الإكراه الذي مارسته عليها عائلتها) إجبارها على الزواج من ابن خالتها(، اللجوء إلى الهجرة السرية أو بالتعبير الجزائري القح الذي وظفه ميهوبي لغايات دلالية" الحرقة"، في رحلة شاقة محفوفة بالمخاطر قطعتها من المغرب إلى إسبانيا فرارا من قدر محتوم.

.."ولم يمض يوم واحد في كازا حتى وجدت نفسي داخل دهليز قريب من مدينة مليلية مع ثمانية من الحراقة، امرأة جاوزت الأربعين .. ومعنا ثلاثة من الأفارقة، لاحظت أن أحدهم يرغب بالتحدث معي، وقال إنه يخشى أن يخفق هذه المرة، فقد جرّب الهروب ثلاث مرات ويتم طرده)".. (ميهوبي،2008: 396).

.."وانطلق القارب في اتجاه الشرق بسرعة مذهلة، فأصاب بعضنا دوار، وكنت أقرأ سورة الإخلاص، واستحضرت كل أفراد عائلتي حتى إبراهيم لكأنني شعرت بندم في تلك اللحظة لما أقدمت عليه .. وبعد عشرين دقيقة تراجعت سرعة القارب .. فقالت لي المرأة لو كنت أعرف أن قلبي سيخرج من صدري لما فكرت في الهروب".. (ميهوبي،2008: 397).

ولأن ميهوبي شأنه شأن أبناء جلدته من الجزائريين يعرف هذا العالم) عالم الحرقة (جيدا، وجنايته على جحافل الشباب من مواطنيه الذين يبلغ القليل القليل منهم الضفة الأخرى، بينما الغالبية تموت غرقا في عرض البحر مخلفين عائلات تبكيهم ليل نهار، قدم توصيفا في منتهى الدقة لهذا العالم، لا من حيث لباس الخوف والمخاطر المحدقة اللذين ألبسهما له، ولا من حيث أشكال البشر وجنسيات المعتادين على ركوب قوارب الموت فقط، ولكن من حيث الخطوات وطريقة المعاملة التي تسبق وتلي رحلة الحرقة، والأحاديث التي يتجاذبها المهاجرون وسماسرة الهجرة السرية، إذ أبدى معرفة جيدة بما يدور في

كواليس هذا المجال، من قبيل السرية والثمن المدفوع لقاء الرحلة، والمراحل التي يقطعها المهاجر .. إلخ . الأشياء التي بإضافة مصطلح" الحرقة "إليها يضحى ملمحها واضحا ولا غبار عليه، وهو أن ميهوبي إذا كان يخص بالذكر في قصته حيز وشخصية مغربيين، فإنّه يومئ ضمنيا إلى الجزائر ويستهدف عبر الفن المتخيل إماطة اللثام عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي أمست بمثابة الوباء، كونها أضحت تتآكل ما لا يعد ولا يحصى من خيرة أبناء وشباب إفريقيا بعامة والجزائر على وجه الخصوص، وبرغم تضاعف وتزايد قوافل الهاربين الذين معظمهم ينتهون موتى غرقا تحت أمواج وعواصف البحر، أو طعاما لحيتانه في مواقف ومشاهد مرعبة تطالعنا بها وسائل الإعلام يوميا، لازالت الوصايا والسلطات في الجزائر والمغرب وبلدان إفريقيا تقف موقف المتفرج مكتوفة الأيدي، لا هي تصنع شيئا من منطلق ما يمليه الضمير لإيقاف الظاهرة أو القضاء عليها من خلال مخططات ومشاريع تنموية أو حملات تعبئة توعوية، ولا هي استحت من نفسها، إن لم يكن أمام شعوبها فعلى الأقل من" الآخر "الذي اتخذه أبناؤها ملاذا يلجؤون إليه .

وبالمقابل لازالت الظاهرة تمثل هاجسا بالنسبة لشباب القارة، يقترن في كثير الحالات بهاجس الحلم المصيري، كون البعض يرى فيه الملاذ الآمن بعيدا عن الضغط والإكراه، والبعض لقمة العيش، والبعض الآخر العدالة والحرية .. وسواها من الأمور المفقودة في بلدان القارة الإفريقية.

.." ولحق بي خمسة من العابرين من بينهم ذلك الإفريقي، الذي ظل يسجد لله حتى ظننت أنه جن، فيقول الحمد لله .. الحمد لله .. وفهمت أنه لا يصدق أنه هذه المرة بلغ الشاطئ)".. (ميهوبي، 2008: 398).

ويتبدى جليا في مضمار هذه الرؤيا أنّ الكاتب يحمل هما كبيرا، بل هو مضغوط ومسكون بإشكال الهجرة السرية في جانبها المأساوي، ودليل ذلك أنه تناول الظاهرة في فصل آخر، هو فصل القصة الأم التي تفرعت عنها الاعترافات، واقترح حلا للقضاء عليها، جسده في فكرتين أساسيتين ولكن في زمن الحلم (المستقبل).

في الفكرة الأولى :رأى أن الضرورة تفترض تفعيل حوار الشمال جنوب حول آفة الهجرة غير الشرعية، ودعوة الغرب إلى التخلي عن الأنانية والتحلي بروح الإنسانية والمسؤولية بالانفتاح على عالم الجنوب .

وفي الثانية :تصور أن الكفيل بالحد من الهجرة السرية يقتضي إخراج مدن الجنوب من العزلة، والاستثمار فيها عبر تحويلها إلى مدن متحضرة، تمتلك ما تمتلكه كبريات مدن أوروبا، وتحوز على حياة العمل والرفاه والحرية والديمقراطية، ومثال ذلك حسب شطحات المبدع- وإن لم تكن مستحيلة -

تمنراست بالجزائر وقد أمسست" تام سيتي "كما تخيلها بعد ثلاثين عاما، تقف فيها ناطحات السحاب شامخة، ويتقاطر عليها السواح من مختلف مناطق العالم.

الإشكال الثاني الذي يحيط به مهوبي عناية القراء بين ثنايا الخطاب المسرود في مضمار رؤياه للعالم وفق دينامية حكائية تعزف على أوتار شتى، هو مسألة الأدمغة العربية وعلى الأخص الأدمغة المغربية) المغرب العربي (المهاجرة، المتواجدة في أوروبا وأماكن مختلفة من العالم، ألمح إليه بطريقة ذكية موظفا شخصية" فطيمة "لهذا الغرض، إذ يشخص الاعتراف متخيل الرحلة السرية كهروب من واقع يرزح تحت طائل الإجبار، لا مكان فيه لخيار الإنسان وكلمة الفرد، يضطر الفرد/البطلة فطيمة إلى الهجرة ليلا وركوب المهالك والمخاطر، وهي في غمرة ذلك لا شيء بلا اسم ولا عنوان، لتعود في وضح النهار إلى بلادها مغمورة بالأضواء الكاشفة وعدسات الكاميرات، مخطوبة الود من طرف جامعات موطنها ومسؤوليه، بعدما اكتسبت الاسم والعنوان هناك في بلاد الآخر أوروبا(إسبانيا).

.." وفي المرة الرابعة عدت إلى مراكش وألقيت محاضرة حول الأبعاد الضوئية في قصر الحمراء، واهتمت بك وسائل الإعلام المغربية كثيرا، وكتبت إحدى الصحف" المغربية التي عبرت البحر سرا تعيد أمجاد الأندلس جهرا" (مهوبي،2008: 418).

ويشي الشاهد أن خطاب الكاتب لا يهجس بقصة مهاجرة شاذة أو معزولة، بقدر ما يهجس بقضية شريحة برمتها تئنّ في أوطانها وتتألم تحت طائل واقع يفرض عليها الاغتراب القسري، يوصد الأبواب أمامها ويتنكر للإبداع والمواهب، واقع كله قيود وحواجز وعراقيل، إن على صعيد السلطة، وإن على صعيد العادات والأعراف والتقاليد، مكبل بمرضين مزمنين هما الإقصاء والنكران، ولذلك هو لا يعترف بمكانة النخب ودورها الطليعي في ميادينها ومجتمعاتها، يغض الطرف عنها، غير مكترث بحاجياتها ومشاكلها ومطالبها .

ولكن العجيب العجاب في هذا الواقع، أنّه يصدح بمفارقة فريدة من نوعها، تنّم عن سذاجة ما بعدها سذاجة، تؤشر على إشكالية غاية في الخطورة، تتمثل في ازدواجية الخطاب الذي تمتهنه الأنظمة المتسلطة، فهذه النخب عندما تلجأ إلى موطن الآخر وتشق طريقها في الفضاء والمناخ المساعدين، حيث وفرة الإمكانيات والغياب التام للجحود والنكران، فيحالفها النجاح وتغتدي في عداد الأسماء اللامعة، المعترف بها من قبل الآخر، تجد مسؤولي وطنها الأصلي يتملقون إليها ويهرعون إلى الاعتراف بها، وهم يفترشون لها البساط الأحمر بمناسبة وغير مناسبة، ووسائل الإعلام هي الأخرى التي مارست عليها

التضليل والتعتيم يوم كانت في عرينها، تتراءى تتسابق إليها لتحظى منها بكلمة أو ابتسامة، لكأن المرض العضال الذي أصاب العرب عموما والمغاربة خصوصا، يجعل العربي كان من كان(أنظر التعليق 2) يحيا في ظل الاغتراب والنكران، لا يسمع له صوت أو أنين إلا إذا شاع اسمه وذاع صيته على الضفة الأخرى واحتفلت به منابر الآخر وجامعات وإعلام الآخر.

هذه الحقيقة المرة التي تهجس بالإجحاف الممارس في حق النخب، وتنّم عن مفارقة صارخة تعتري أوصال ومفاصل البنية المجتمعية العربية، هي الإشكالية الرؤيوية التي يطرحها الروائي في قصة "فاطمة المغربية"، كاشفا من جانب واقع حال الأدمغة المغاربية التي اضطرها الاستهتار والنكران إلى مغادرة بلدانها والإقامة ببلاد الآخر، ومن ثم خدمة هذا الآخر، وفاضحا من جانب ثان حالة الانفصام المرضية التي تتخبط فيها المنظومة المجتمعية ككل بما جعلها تمارس الازدواج في التعامل مع نخبها، لا تعترف بهم وهم بينها، فيما تعترف بهم وقد أمسوا أهل حظوة عند الآخر.

ويعني هذا أن الرؤيا تسلط الضوء على إشكالية تنطوي على إشكالية، وبتفسير آخر إنّها تتمظهر من حيث الشكل العام خاصة ومحصورة تتعلق بالهجرة السرية وغير الشرعية إلى الغرب، وبالضبط من شواطئ المغرب إلى إسبانيا، ومن هذه الناحية هي لا تختلف عن إشكال الهجرة السرية المعبر عنه في الروايات العربية الأخرى، في حين لدى الوقوف على ما يلفظه الخطاب من حمم دلالية بين جنباته، نكتشف حقائق غاية في العمق تحيلنا على أن القصة تتأطر ضمن نسق موضوعاتي) تيماتي (يوسع المتخيل ويخصب حوضه الدلالي، يتغيّا النبش في قضية الهجرة السرية في حيثياتها الدقيقة الشائكة، لتقديم تشخيص دقيق للظاهرة في أبعادها المورفولوجية والسيكولوجية والسوسيولوجية .وبالتالي فمهوبي إذ يصدح بحيثية المفارقة التي تسود المنظومة المجتمعية المغاربية) العربية (يقحمنا في إشكالية- بمثل ما أشرنا -معقدة وشائكة ذات بعدين إشكاليين.

-إشكال ازدواجية خطاب التعامل الذي تمارسه المنظومة المجتمعية .

-إشكال تبجيل الآخر وتقديسه والتبعية له.

وإذا كان الإشكال الأوّل ينم عن خطورة كبيرة، كونه يشخص حقيقة الورم الذي تعاني منه المنظومة المجتمعية ككل والمعرفية على الأخص، أي ورم النفاق الذي انتشر في خلايا مجتمعنا فأنتج حالة الانفصام التي نعيشها، فإنّ الإشكال الثاني أخطر وأفظع منه، لأنه يعبر عن مأساة حقيقية تنخر كاهل المنظومة، هي أعتى وأدهى من الورم السابق، لسبب بسيط وهو أن قضية الهروب إلى الآخر أو اختيار اللجوء إليه كملاذ أو حكم أو كشهادة أو إجازة، ليس ذنب المهاجرين الصغار من الأفراد المسحوقين، أو

فئات تحيل على شرائح مجتمعية بعينها عادة ما تكون في طليعة ركب المهاجرين من قبيل) البطالين، الفقراء، المعوزين، الباحثين عن حياة الحرية والرفاه (..، وليس أيضا حكرا عليهم بمفردهم، وإنمّا هو إشكال منظومة برمتها تبجّل الآخر ولا تتوانى عن تقديسه، بدليل أنها لا تعترف بأبنائها إلا إذا أمسوا مخطوبي الود من طرف الآخر .

وأمام هذا الواقع المأساوي الذي يسم المنظومة ككل، أضحى المثقف في العالم العربي عموما والمغربي خصوصا، إدراكا منه للوضع المرضي المستشري في البنية المجتمعية، وحال الانفصام والازدواجية التي يقدّر بها النظام السائد الأشياء يهرول إلى أوروبا أو أمريكا إذا ما أراد أن يثبت ذاته، والأمثلة في هذا الشأن عديدة ولا حصر لها .

لقد استغل الكاتب هذه القصة ليقحم كل آرائه ومواقفه بخصوص هذه القضية الحساسة التي تؤرق عديد الفاعلين والمنظمات في الشرق والغرب، ومن خلالها فتح نوافذ لينتقد السلطات والمثقف على حد سواء، وليعرب عن قلقه بشأن الأوضاع البائسة التي تحيا في كنفها شعوب المنطقة المغاربية، وكذا حسرته على الحال المؤسفة لشبابها الذي أمسى بلوغ الضفة بالنسبة له بمثابة الحلم، وبمثابة الخيار غير القابل للجدال والنقاش، بالرغم من علمه المسبق بأن احتمال بلوغ الضفة الأوروبية في قوارب الموت يساوي واحدا في المائة، واحتمال الموت يساوي (99) بالمائة .

ولانضغاط الكاتب بهذا الموضوع، حرص كل الحرص على تعريته على صوراه الدراماتيكية المؤلمة وإضاءة جوانبه الداجية، ولهذا لم يسلط الضوء على فاطمة المغربية بمفردها بل على نماذج بشرية متنوعة من القارة الإفريقية(الجزائر، المغرب، أدغال إفريقيا).

.." كأن المركز محشر أغنام أو إحدى أسواق الهند العتيقة ففيه أعداد كثيرة من الحراقة القادمين من الجنوب، أشكال وألوان .. كان بالقاعة إحدى عشرة امرأة، منهن ثلاث نساء إفريقيات والبقية من المغرب والجزائر، كنّ جالسات وكأنهن في مأتم .. أخذتنا شرطية إلى حمام قريب وأغلقت علينا بمفاتيح، وقالت أمامكم ساعة ونصف لتنظيف أجسادكن من أملاح البحر والأوساخ، وقبل أن تكمل جملتها أجبتها باللغة الإسبانية" :إنهن نساء شريفات والفقر ليس وسخا"، فنظرت إلي مليا ثم سألتني، ما لذي جاء بك إلى هنا وأنت تحسنين الإسبانية؟ قلت جاءت بي هضبة الدموع"(La guetade lagrimos) (مهوبي،2008: 401).

" وقضيت ثلاثة أسابيع أستمع إلى قصص لو دونتها في كتاب لنلت من ورائه ثروة وشهرة، فكل واحد وواحدة من الموقوفين وراءه قصة تختزل مأساة أهل الجنوب المأخوذين بسحر الشمال وجنة أوروبا، وأذكر أن واحدا قال :امنحوني يوما واحدا في مدريد أشاهد فيه مساء إسبانيا .. وأشاهد فيه مباراة الريال ثم اشنقوني في أي ساحة (ميهوبي،2008: 402).

وقد يبدو ممّا يرشح عن الشاهدين- وهما يخبرانا بحالة المهاجرين في ملجأ المغتربين بإسبانيا -أن الراوية في هذه القصة) المضمنة (شخصية رئيسية في النص، لكن الأمر ليس كذلك، فهي وإن كانت تعبر عن الطبقة التي تكلمنا عنها، ليست سوى ناظمة للحكي، حكايات الآخرين، المهاجرين رجالا ونساء، الإفريقي والإفريقية والجزائري والجزائرية، المغربي والمغربية، بإيعاز من صاحب الإبداع ليعكس رؤياه للعالم- باعتباره فردا ينتمي إلى هذا الحيّز أو هو جزء لا يتجزأ منه -حول مأساة عالم الجنوب وفي طليعتها المغرب العربي، في مشاهد تراجيدية سوداوية قاتمة للغاية، تنقل لنا اغتراب الإنسان وضياعه في مجتمعات هذا العالم، وهو يتبدى إمّا مكسورا أو مقموعا أو مستلبا حتى النخاع، والخيبة تعصف برياحها الصفراء في أوردته، بسبب البطالة والتشرد والنكران والإجبار وما إلى ذلك، ممّا جعله لا يجد أمامه سوى الهجرة والبحث عن لقمة العيش في بلاد الآخر .وبهذا المنظور تصبح الرؤيا ليست تجريدا للأحداث وتسجيلا للوقائع، وإنّما خطاب يسعى إلى فضح الوضع المهترئ في عالم الجنوب وتعرية الاختلالات التي يعيشها على مستوى النظم السياسية والنخبوية والوجودية ككل، وتصوير لحال اللامبالاة بالبنية التحتية للمجتمع.

إلى جانب هذه الحقائق نجد رؤيا العالم التي يسيّجها المؤلف بين ثنايا هذا الاعتراف ترهص على مسألة أخرى، تؤشر على حيثية خطيرة، وقد أشار إليها النّاص عن قصد كونها تنسحب على أي مهاجر يبلغ الضفة، هي السقطة المدوية أو الزلل اللامغتفر، أو بالأوضح الأفصح الخطأ الشنيع الذي وقعت فيه فاطمة، عندما سقطت في حبائل رفائيل، فتزوجت من غير المسلم وراحت تنفذ مشروعه بحذافيره من دون علمها، حتى غدت جزءا من مخططه، وكيف أنها لم تكشف الكذب والتضليل الذي مارسه عليها لمدة ثلاثين سنة .فهذه النقطة تجلي واقعا مريرا آخر يكتنف حياة المهاجرين، يتمثل في الخراب الذي قد يجنونه على أوطانهم بالدرجة الأولى، وعلى أنفسهم بالدرجة الثانية، وما تهجس به قصة فاطمة مع رفائيل إلا جزئية مبسطة وصورة مصغرة لهذا الخراب، ذلك أن رفائيل لو لم تردعه رؤيا الحلم المدوية التي أعادته إلى عين العقل وجادة الصواب، لكان نفذ مخططه تاركا فاطمة تحيا على وقع الكآبة والندم وتأنيب الضمير، وهو ما يعني أن العلاقة بين رفائيل وفاطمة ليست مجرد مأساة فردية، بل هي صورة مصغرة

للعلاقة بين الغرب والشرق، القائمة على أساس الشد والجذب، والاختراق الدائم لـ "الأنا "من طرف "الآخر "نتاج التصادم الدائم بين الطرفين، والهوة الشاسعة ما بينهما التي عمقت رقعتها المشاكل والإشكاليات التي ما انفكت تطرح بقوة، من قبيل :صورة العربي/المسلم المهزوزة لدى الغرب، إشكالية الهوية الحضارية والتفوق الحضاري .. وغيرها، ولذلك ليس من قبيل الصدفة- بهذا الصدد -أن يطلق رفائيل اثرى لقائه الأول بفاطمة ما مؤداه :

.."كنت تنظرين إلي كما لو أنك عثرت على ما جئت من أجله، وكنت أنظر إليك كما لو أنك القشة التي سأتعلق بها للنجاة من الغرق، أنا من جاء يحمل ساعة الفرج إليكِ)".. (ميهوبي،2008: 405).

أو قوله لاحقا .." :نجحت في أن أجعل منك واحدة من سبايا القشتاليين المؤجلة منذ خمسة قرون، فنسيت أهلك ومراكش ولم يعد لك سوى رفائيل هذا الإسباني الذي وعدك بالجنة وهو من ظل ينفخ في نار جهنم ثلاثين عاما)".. (ميهوبي،2008 : 405).

وهكذا صارت فاطمة مفعولا بها، تخدم مشروعا مدمرا من حيث لا تدري، أو بالأحرى صارت في خدمة طرف من طرفي ما تكنيه بعض الخطابات الغربية بـ" :صراع الحضارات"، الصراع بين الشمال والجنوب، أو بين الشرق المسلم المتخلف والغرب المتقدم المسيطر، الذي يكن العداء للعالم الإسلامي ويتهمه بالإرهاب مع أنه هو من اصطنع هذا الأخير .

إنّ الرؤيا التي يستثيرها "ميهوبي" في الاعتراف تقوم على السّجال الفكري، فهي من جانب تدعو إلى ترجيح كفة العقل ومنح الوجدان حقه في التعبير بلا مزايدة، ومن جانب آخر تدعو إلى عدم الانصياع للهواجس الفردانية المتسلطة والغريزية الفجة، أو المصالح الشخصية الواهية، وقد ظلت توزع هذه القيم عبر حوارات شخصيتي فاطمة ورفائيل على امتداد مساحة الاعتراف، مستفيدة في ذلك من تجارب النّاص المهنية المتمثلة في احتكاكه بالآخر واطلاعه على طبيعة تفكيره.

الخاتمـــــة:

ختاما يمكن القول أن رؤيا العالم التي يؤججها اعتراف" الفجيعة على أستار الكعبة "في رواية "اعترافات أسكرام "تأخذ بعدين اثنين، أولهما عام يسلط الضوء على السّجال بين الأنا والآخر في امتداداته التاريخية الشاملة وتطوراته الآنية/الإرهاب، وثانيهما خاص يستقرأ حيثية سطوة" الآخر " والتبعية له.

فأمّا على الصعيد الأول :تغيّت الرؤيا إثارة النقاط الهامة التالية:

-من الطبيعي جداً أن يصور" الآخر "نفسه دائماً في الريادة، ويموضعها مرادفة للمدنية والانفتاح الحضاري، لأن ذلك شعور طبيعي وفطري في الإنسان والإنسانية، ونعني بذلك شعور التفوق والسمو، ولكن بالمقابل هذا" الآخر "مدان، ما دام لم يستوعب بعد من تاريخ البشرية الطويل والعريض معنى تحرير الإنسان من الرواسب المقيتة والتكلسات العنصرية.

-الأنا العربي/المسلم ضحية منظومة فكرية ومعرفية صنعها" الآخر"، وأجّجتها الأنظمة التي تحكمه.

"-الآخر "باعتماده على سياسة استصغار" الأنا "وإقصائه وخلق العداوات الوهمية، هو في الحقيقة يحافظ على توازنه الشخصي/الداخلي، المبني أساساً على صورة ذهنية تاريخية تدين" الأنا "وتشينه، وتموضعه في خانة الخصم الدائم، والعدو والأبدي.

-الأحكام المسبقة تمتح من رصيد تاريخي معرفي جمعي توارثته أجيال" الآخر "عن" الأنا "أباً عن جد، وهي تنهض بترسيخ وعي جمعي غايته الحفاظ على المصلحة الاجتماعية، والتركيبة الذهنية للمجتمع الغربي.

أمّا على الصعيد الثاني فنسجل العناصر التالية:

-يعرج "مهوبي" على مواضيع المرجعي الحي والراهن، وبالذات مرحلة الإرهاب الدموي بتداعياته المختلفة، التي مزقت العالم الإسلامي وحولت المنطقة العربية إلى مناطق تنخرها الحروب والانقسامات، يمتطي أبناؤها قوارب الموت مفضلين الهجرة على البقاء فيها .

-الاعتراف يتغيّا من خلال رؤيا العالم التي يؤثثها، الإدلاء بشهادات ومواقف الكاتب من التحولات التي يعرفها العالم على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وتأتي هذه الشهادات والمواقف في شكل قراءة أدبية استقرائية، تأخذ ثلاثة أبعاد:

<u>الأولى:</u> قراءة أدبية للتاريخ والإرث الحضاري بشقيه العربي الإسلامي العام والجزائري الخاص، تحاول أن تسلط الضوء على سيولة واستمرار هذا الإرث من ناحية، وأن تستقرأ امتدادات التاريخ وكيفية تفاعل الحاضر بمعيته من ناحية ثانية .

<u>الثانية:</u> قراءة أدبية للراهن في نطاق التحولات التي يعرفها ويحياها الإنسان في الظرف الآني، عرّج مهوبي ضمنها على مجمل التجاذبات التي تتقاذف هذا الراهن) الحاضر (من هجرة وخيانة، وحب وخرافة، وإرهاب ونبوءة، وتكالب وتطرف...إلخ .

<u>الثالثة:</u> قراءة أدبية استباقية استشرافية، وظف في مضمارها الفن المتخيل لاستشراف العلاقة بين الأنا والآخر بمنظور روائي/أدبي، ولكن برؤيا استراتيجية تنم عن بعد نظر.

-نظرة الآخر/الأجنبي إلى الأنا/المسلم في ظل مزاعم الإرهاب.

-نظرة الأنا/المسلم إلى الآخر/الغرب في ظل أحجية العصر" الإرهاب ."

وجميع هذه القراءات الرؤيوية تطالعنا بعوالم افتراضية على تماس بالعوالم الواقعية، حيث نجدها تعبر عن أفكار تحمل في طياتها أبعاد العولمة، ومآلات العولمة على العالم بصفة عامة، والحيز العربي الإسلامي بصفة خاصة، وتعرج في مضمار ذلك على وضع الإنسان من خلال نماذج وعينات مختلفة ترصد واقعه بمختلف تمظهراته وأشكاله، سواء وهو تحت طائل الغطرسة والبطش، أو تحت طائل التهميش، أو سواء وهو يتبدى مناضلا من أجل الحرية والعيش الكريم، أو مكافحا من أجل التحرر من الاستبداد والعبودية، أو من براثن الاحتلال في شكله القديم وفي شكله الحديث الذي يحمل عنوان الإرهاب .

التعاليق والشروح:

1- لأننا سنتناول في هذا الفصل الإجرائي رؤيا العالم، باعتبارها تحيل على الشق الفكري لدى النّاص/الكاتب، الذي يسبق عملية التبلور النهائي للنتاج الأدبي، والذي يمتح في الأساس من التخييل، ويشي بمعنى حلمي) الحلم(، فإننا سنوظف الرؤيا) بالألف (للإشارة إلى" رؤيا العالم"، باعتبارها مشتقة من الفعل" رأى "والجمع" رؤى "أي ما يراه الإنسان في منامه، كما أنها تعبر عن التجربة التخييلية للمبدع الكاتب التي تتجاوز الواقع، بينما الرؤية تشي بمعنى حدسي ومرئي، هو مرتبط أشد الارتباط بالجسد والحواس، أي يتصل بالواقع ولا يعبر في طيّاته عن المكنونات وعوالم التخييل) .ابن منظور جمال الدين، اللسان، مادة رأى، دار المعارف، القاهرة،) (1979 الفيروز أبادي، مادة رأى، القاموس المحيط، المطبعة الأميرية، القاهرة،1935)

2- ونقولها بصريح العبارة حتى لو كان هذا العربي في مرتبة" أينشتاين "العلمية.

قائمة المراجع :

-الفيروز أبادي، (1935)، القاموس المحيط، مادة رأى،) د.ط (المطبعة الأميرية، القاهرة،

-ابن منظور جمال الدين،(1979)، اللسان، مادة رأى،) د.ط (دار المعارف، القاهرة،

-الزهراني معجب مع مجموعة من المؤلفين،(1999)، صورة الغرب في كتابة المرأة العربية، أفق التحولات في الرواية العربية، ط1، دار الفنون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان .

-أزراج عمر، أفريل(2010)، الهوية شرط اللغة وإمكانات التحويل، جريدة الخبر، عدد:5972 ، الجزائر .

-بويجرة محمد بشير، الأنا والآخر، منشورات دار الأديب، وهران.

-دراج فيصل، (1992)، دلالات العلاقة الروائية، د.ط، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق .

-هويدي فهمي،(1990)، مقال" من يعادي من"، جريدة الأهرام المصرية، يوليو، عدد: 17، القاهرة .

-حمود ماجدة، (2013)، إشكالية الأنا والآخر، سلسلة عالم المعرفة، عدد398 :، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت .

-كاضم نادر، (2004)، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

-لبيب الطاهر، (1993/1996)، الآخر في الثقافة العربية، صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، أوراق الندوتين الدوليتين للجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس .

-مسلم محمد، (2004)، خصوصيات الهوية وتحديات العولمة، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر.

-محمد عمارة، الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟) د.ط(، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

-مهوبي عز الدين، (2008) ، اعترافات أسكرام، ط1، جمعية البيت للثقافة والفنون، منشورات البيت، الجزائر.

-ناظم عبد الواحد الجاسور،(2003)، الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، الإمارات العربية المتحدة .

-رسول محمد رسول، (2002) ، محنة الهوية، مسارات البناء وتحول الرؤية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

-شلتاغ عبود، الأدب والصراع الحضاري، (د.ط) ، دار المعرفة، دمشق .

-تشومسكي نعوم، (2001) ، النزعة العسكرية الإنسانية الجديدة، تر :أيمن حنا حداد،) د.ط (دار الآداب، بيروت.

-عبده قاسم قاسم، المسلمون يتعرفون على الآخر، مجلة العربي،) موقع المجلة(، وزارة الإعلام، الكويت .

-فيليب هنتنجتون صامويل، (1995)، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، تر :طلعت الشايب سطور،) ط(1، مكتبة مدبولي القاهرة.

المراجع الأجنبية:

-Tap, Pierre, 1986, production et affirmation de l’identité in identité individuelle et personnalisation, (Ed.) Identités collectives et changements sociaux, Toulouse, Privat.